البسوس . وبقي الحرث بن عباد على الحيادة قائلاً : « لا نافة لي في هذا ولا جمل » فذهبت مثلاً . وكان مقتل كليب سنة ٤٩٤ للمسيح

من القفص الى العش

في قفصها الجميل ، كانت الحمامة الاسيرة تنوح وتحنُّ الى الحرية . .

ترى امامها الفضاء فسيحاً ، فتحاول الطيران ، فتهشم جناحيها اللطيفين على الحواجز الصلبة ، فيضيق بها رحب الفضاء . . .

تسمع اخواتها صادحاتٍ على الافنان ضحىً واصيلاً ، وهي قُضي عليها ان تئن وتنوح بين قضبان الحديد . . .

ترى الحدائق الغناء والرياض الخضراء والمياه المتسلسلة والجبال الشاهقة والاودية الظليلة ، فتتزايد اشجانها وتتضاعف احزانها لدى جمال الطبيعة كأنه خلق ليتمتع به سواها

هذه هي حالة المرأة الشرقية في امسها

* * *

يدٌ شفيقة حركها عامل الرحمة ، ففتحت باب القفص وافرجت عن السجينة المسكينة . . . طارت الحمامة الى الشجرة ، فنفضت ريشها وعادت اليها الحياة : غنت لمرأى الزهرة في الوادي ، وهدلت مع هدير النهر المتدفق من الجبل . وقد زقزقت خلاصها العصافير وغردت لنجاتها الطيور

تنشقت الحمامة من هواء الحرية ما شاءت ، ثم صفقت بجناحيها

ومخرت في الهواء وحلقت في الفضاء

خاف عليها منقذها من توغلها في العلى ، وخشي ان يأخذها الدوار من التحليق في الطيران ، فيرمي بها من شاهق مهشمة الجناحين على الحضيض . فتعود عليها هذه الحرية بشرّ بلية

سبحت الحمامة في الاثير حتى استطلعت خفايا العالمين الادنى والاعلى ، ثم اخذت تنحدر حتى هبطت عشها ، فانتعشت بحرارته المنعشة واستكنّت به حاضنة فراخها المطلّقة

هذه هي حالة المرأة الشرقية فى يومها

* * *

لو أُتيح لهذه الحمامة ان تعبرّ لنا عما خالج قلبها الخفوق من العواطف بعد اطلاقها من اسرها ، لفاق تعبيرها وصف ابلغ الشعراء العالمين بخفايا الصدور الواقفين على نبضات القلوب . اما وقد تم لك ذلك ايها القارىء على لسان « فريده هانم » تلك الحمامة الناطقة فاسمع تغريدها واصغ الى شجي غنائها بعد ان كسر الدستور قيودها وحل وثاقها :

« ما الطف الطيران : . . . وما الطف التحليق في الفضاء ! . . . طيري ايتها الحمامة وحلقي صاعدة في سماء اللانهاية

« طيري الى الاعالي . ففي الاعالي لا يخشى على جناحك من التهشيم . وفي الاعالي تميزين الاشياء احسن تمييز

« هذه الابراج العزيزة ، الابراج الرفيعة ، الابراج البيضاء . هذه هي في بلادي

« هذه المنازل والاكواخ ، هذه السهول والجبال ، هذه البحيرات المتموجة الصافية ، هذه الالوان الناصعة الزاهية ، هذا الضياء الساطع ، هذا النور اللامع ، هذه انت يا بلادي . فما اجملك وما ابهاكِ ! . . .

« ولكن ، حذراً أيتها الحمامة من الهلاك أفلتِ من قفصك . فانزلي على مهلٍ في عشك

« أنا وجدت عشي هو « العائلة » . فما سوف اكون فيه ؟ سأكون ملكةً فأنظّم مملكتي الصغيرة ، وأجمّلها بألطف الزينات وتحت ادارتي سيكون شعبٌ صغيرٌ ، فأدبر شؤونه واقوده الى غايته بكل سكينة

« اجل ان رحلتي في الهواء قد ولّدت في صدري مثل هذه الاوهام

« عند ما حلقت في الفضاء رأيت كل منزل جزءًا من البلاد . رأيت كل دار مملكة صغيرة تابعة لهذا « الكل » العظيم الذي نسميه « الوطن » ، رأيت كل عائلة قسماً من هذا المجموع الكبير الذي ندعوه « الشعب » أو « الامة »

« أقامتني النواميس الطبيعية والتقاليد الاجتماعية على ادارة المنزل الداخلية ، فأصبح المنزلُ مملكةً لي فيها مصالح أدبرها ، وعقل أقوده ، وصحة احفظها ، واهواء أقاومها ، ومعارف أنشرها

« هذا هو الدور الكبير الذي يجب عليّ ان أمثله في العائلة ، فسأخرج من النطاق الضيق الذي حوصرتُ فيه لأقوم بمهمتي حقّ القيام ، لا لأقلق خواطر أناس يغارون على طهارة العادات ومقام المرأة في الاسلام

« أريد ان امتزج امتزاجاً عقلياً بالعالم الخارجي لاقتبس من معارفه واكتسب من مناظره

« فاطلقوا اذن سراحي وفكوا عقالي وعلموني . . .

« من العائلة يتخذ الوطن رجاله ، ففي العائلة اذن مكانة الشعب ومستقبل البلاد ، وعلى تأثير المرأة في الولد يتوقف مستقبل العائلة العثمانية الكبرى التي تتألف الآن

« فلننتبه الى أنفسنا أيتها النساء اخواتي الساهرات على تلك الرؤوس الصغيرة

« فلننتبه الى تفتيح هذه العواطف كالازهار في تلك القلوب الصغيرة التي تخفق بالقرب من قلوبنا

« بالامس كنا لا ندرك ما يدور في رأس الاخ أو الابن أو الزوج لان حياتهم العقلية والادبية كانت تدور في منطقة غير منطقتنا ،

« فعلينا نحن معشر النساء ان نوجد العائلة : نور واحد ونار واحدة ؛

« والعواطف تترقى بترقي العصور : بالامس كنا زوجات ، ووالدات . واليوم صرنا صديقات وأمهات حنونات . . .

« ان ادارة عقل الولد وتكييف قلبه وتهذيب طباعه لما يؤول الى تكوين حياته وحياة البلاد ؛ واذا دفأنا قلبه بحرارة العواطف العائلية كما تدفئ الدجاجة فراخها نكون قد اعددناه لمقاومة عواصف هذه الحياة

« فهيا الى الامام أيتها العائلة الصغيرة ! ان الاتفاق قريب ؛ كنتِ حتى الآن تحت سلطة الوالد ؛ ونعم ما كنت عليه لان الاب هو الرأس ؛

ولكن ها أنا ذا مستعدة ايضاً وأنا الأم ، والأم هي القلب . . .

« فان للمرأة في كل عصر من العصور ميزة تميزها وتجعل لها مقاماً كبيراً أو صغيراً في الهيأة الاجتماعية ؛ وبلادنا اليوم ليست بلادنا أمس ، فان أمسنا بعيد عنا بمراحل فيجب ان أتكيف بكيفية جديدة ان أردت ان اجاري عصري هذا ؛ والا فاني أكون طيفَ الماضي في الزمن الحاضر

« ومن مزيج الاستقلال العقلي والتحفظ الذي يعلّمه الدين ستخلق امرأة جديدة تكون الضالة المنشودة والجوهرة المفقودة . . فهيا الى الامام . . . ! الى العلى . . . ! »

*
* *

هذه هي النغمات التي وقعتها أوتار قلب تلك الشاعرة الرقيقة ، وهذه هي الانشودة النسائية الجميلة التي دبجتها بالافرنسية يراعة فريدة هانم احبينا ان نتحف بها قراء العربية لما فيها من رقة الشعور وسامي الوجدان

في رياض الشعر

١ — على البحيرة

سلِ المَها بين إڤيانٍ ولوزان [1] ماذا فعلنَ بقلبِ المغرمِ العاني
إذ كنَّ في الفلكِ كالاقمارِ في فلَكٍ يُشرفنَ فيه على ألعابِ نيران

(١) Evian و Lausanne مدينتان على بحيرة جنف في سويسرا